PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8): 764-770
ISSN: 1553-6939

The Amazigh language in the Algerian school between the necessity of prohibition and the legitimacy of permissibility and its impact on teaching the classical language

Dr. abida guercif [1] *
[1:] **Mohamed Khidir University of Biskra. Algeria. guercifabida@gmail.com**
Received:29/06/2024 ،Published: 30/08/2024

ABSTRACT:

The new constitutional decision, which includes legislation to teach the Amazigh language in Algerian schools from 2002 AD until it was made an official language in 2016 AD, has created different reactions between supporters of the decision and those who reject it. In light of these transformations witnessed by the Algerian school, which some of them believe may cause harm to the language of Dhad. While some of them believe that: legislating the teaching of the Amazigh language is a legitimate right, and it also helps in activating bridges of citizenship, cohesion and coexistence between members of society. In order to clarify the manifestations of the ideological dimensions of these visions, this study came to answer a number of problems, the most prominent of which are: What are the efforts to be achieved by teaching the Amazigh language? Is there any harm in teaching her about the language of Dhad?
Keywords:
The Amazigh language, Algerian school, education, acceptance and rejection.

اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية بين ضرورة الحظر وشرعية الإباحة وأثرها على تعليم اللغة الفصحى

د. عابدة قرسيف [1]

[1] جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، guercifabida@gmail.com

الملخص:

إن القرار الدستوري الجديد والمتضمن تشريع تعليم اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية منذ عام 2002م إلى غاية جعلها لغة رسمية عام 2016م، قد خلق ردود أفعال مختلفة بين مؤيد للقرار وبين رافض له. وفي ظل هذه التحولات التي عرفتها المدرسة الجزائرية، والتي يرى بعضهم بأنها: قد تلحق الضّرر بلغة الضاد. في حين يرى بعضهم أنّ: تشريع تعليم اللغة الأمازيغية حق مشروع، كما أنه يساعد في تفعيل جسور المواطنة والالتحام والتعايش بين أفراد المجتمع. ولتستبين تجليات الأبعاد الإيديولوجية لهذه الرؤى، جاءت هذه الدراسة لتجيب عن جملة من الإشكالات أبرزها: ما المساعي المراد تحقيقها من تعليم الأمازيغية؟ وهل في تعليمها ضرر قد يلحق بلغة الضاد؟

الكلمات المفتاحية:

اللغة الأمازيغية، المدرسة الجزائرية، تعليم، القبول والرفض.

مقدمة:

تعد اللغة جزءا لا يتجزأ من كيان الإنسان؛ فهي التي تكشف عن أفكاره المخزونة في ذهنه؛ وهي التي تحدّد انتماءه العرقي، والثقافي والديني في بعض الأحيان. ولمّا كانت اللغة إحدى المقومات الانتمائية، فقد حظيت باهتمام كبير من قبل أهلها الناطقين بها، كما كان الحال مع لغة الضاد لغة: لغة الإعجاز والمجاز والإيجاز، حيث درسها علماؤها ودرّسوها. والناظر في هذه اللغة يلحظ أنها دخلت إلى بلدان كثيرة أثناء الفتوحات الإسلامية، فتشرّب منها أهل تلك البلدان، وتعلموها إلى جانب لغتهم، ومن تلك البلدان شمال إفريقيا؛ أين كانت اللغة الأمازيغية سائدة. ومع مرور الوقت أصبحت العربية والأمازيغية لحمة واحدة، وأصبح أهل هذه البلدان يتحدثون العربية والأمازيغية، إلا أنّ اللغة العربية كانت لها الحضوة الكبرى لما اتسمت به من مكانة رفيعة، لأنها لغة القرآن، ولأنها لغة جديدة. فقد عني أهلها بتدريسها لغير الناطقين بها على خلاف الأمازيغية، وهذا ما أدى إلى انتشار العربية بشكل كبير، ولأن اللغة تكشف عن ثقافة الإنسان وهويته وعاداته وتقاليده؛ فقد تمّ إصدار قرار تعميم تدريس اللغة الأمازيغية في المدارس الجزائرية بوصفها من ثوابت الهوية الوطنية، إلا أنّ هذا الأمر لقي جدلا واسعا في أوساط المجتمع بين مؤيد للقرار ورافض له بحجة أنّ اللّغة العربية هي اللّغة الأم واللّغة الرّسمية فلا حاجة إلى تدريس الأمازيغية.

أولا: العربية والأمازيغية: صراع أم تنوع لغوي؟

إنّ ظاهرة التعدد اللغوي ظاهرة تميزت بها مختلف المجتمعات؛ إذ نلمح ذلك التعدد على مستوى الممارسات اللغوية داخل المجتمع الواحد، الذي قد يتحدث أفراده بعدة مستويات لغوية متباينة. وإذا تأملنا مصطلح التعدد اللغوي نجده المصطلح «المقابل للفظ الأجنبيMultilinguisme، وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إمّا على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية والايطالية، في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإمّا على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية مثل الهوسا والغورمانشه، والسوناي زارما، والتماشيق، والفولفولدة، والتوبو في جمهورية النيجر[1]».كما أنّ التعدد اللغوي يمثل أيضا:« مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد[2]» وقد اتفقت المعاجم اللسانية على تعريف التعدد اللغوي بأنه عبارة عن:« استعمال لغات عديدة داخل مؤسسة اجتماعية معينة[3]». وعليه فإنّنا قد نجد المجتمع الواحد يتحدث بلغات عدّة، كما قد نجد الفرد الواحد داخل هذا المجتمع قد يتحدث أيضا بلغات مختلفة لا تنتمي إلى فصيلة لغوية واحدة، وهذا ما أطلق عليه مسمى الازدواجية اللغوية وقد ظهر هذا المصطلح المقابل« للمصطلح الأجنبي (Diglossie) في أدبيات اللسانيات إلا في عام 1959 حيث استخدم اللساني الأمريكي شارل فرغيسون(Charles Ferguson)هذا المصطلح المأخوذ من اللغة الإغريقية. ولئن كان هذا المصطلح لا يعني في اللغة الإغريقية سوى الثنائية اللغوية فإنّه يكتسب عند فرغيسون معنى أدق من ذلك، فقد حدّد الكاتب الازدواجية اللغوية انطلاقا من أحوال

أربعة يعتبرها مثالية(وهي المنطقة الألمانية في سويسرا، ومصر، وهايتي، واليونان) على أنّها العلاقة الثابتة بين ضربين لغويين من بلدين ينتميان إلى أصل جيني واحد: أحدهما راق والآخر وضيع(كالعربية الفصحى والعاميات ، كالإغريقية الشعبية الحديثة والإغريقية "المهذبة الصافية"... »[4] .

ومن ثم فإنّ الازدواجية اللغوية عند فرغيسون تقيم « مقابلة بين ضربين بديلين من ضروب اللغة، ترفع منزلة أحدهما فيعتبر المعيار ويكتب به الأدب المعترف به، ولكن لا تتحدث به إلا الأقلية، وتحط منزلة الآخر، ولكن تتحدث به الأكثرية[5]» . وبهذا فإنّ«الثنائية التي رسمها فرغيسون في نصه بغناها وفقرها، أساساً للمقترحات التي قدمها لساني أخر هو جوشوا فيشما(joshuafishman)عام 1967م.أقام فيشمان مقابلة جعل فيها الثنائية اللغوية في جهة وهي قدرة الفرد على استخدام عدد من اللغات مما يدخل في باب اللسانيات النفسية، وجعل فيها الازدواجية اللغوية في جهة أخرى وهي استخدام عدد من اللغات في مجتمع ما» .[6] ليتبين الفرق الدقيق بين مصطلحي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية كما أشار إليه فرغيسون.

ونعني بالثنائية اللغوية في الوطن العربي أن يتكلم الناس في البلد لغتين، الأولى عربية التي تستخدم في المجالات الرسمية كالحياة والتعليم والإعلام والبرلمان وكتابة القوانين، والثانية لغة محلية(غير عربية)تستخدمها مجموعة من المواطنين للتواصل فيما بينهم، بينما تستخدم اللغة السائدة للتواصل مع الآخرين[7].» وعموما فإنّ التعدد اللغوي والازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية مصطلحات متقاربة الدلالة، إلا أنّ التعدد اللغوي يرتبط أكثر بالممارسات اللغوية المتعددة على مستوى المجتمع. في حين يرتبط مصطلح الازدواجية والثنائية اللغوية بالممارسات اللغوية المتعدّدة عند الفرد الواحد، والناظر في هذه المصطلحات يستحضر مصطلحا آخر، قد يمثل نوعا من أنواع التنوع اللغوي وهو التداخل وقد عرفه "لويس .ج. كالفي"ناقلا عن فانريش(uriel–weinriche) بقوله: « يدل لفظ التداخل على تحويرRemaniement للبنى ناتج عن إدخال عناصر أجنبية في مجالات اللغة الأكثر بناء مثل مجموع النظام الفونولوجي، وجزءا كبيرا من الصرف والتركيب، وبعض مجالات المفردات(القرابة ،اللون، الزمن .....)[8]»

وعليه فإنّ مصطلح التداخل في عمومه« يشير إلى الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف، وقد تكون للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل فعالية أكثر في تولد توجه سلبي أو إيجابي تجاه لغة ما أكثر من أخرى، وهنا يظهر أثر اللغة الأجنبية في اللغة القومية[9]» ؛ حيث يحدث تداخل بين اللغتين جراء عدة عوامل على نحو: الهجرة أو الاستعمار أو التجاور، وهذا ما نلحظه على مختلف الممارسات اللغوية المحلية في الجزائر؛ إذ يستعمل أفراد المجتمع لغة مزيج بين العربية والفرنسية .

إنّ الناظر في الواقع اللغوي في الجزائر يلحظ ذلك التنوع اللغوي داخل المجتمع؛ إذ يستعمل أفراد المجتمع اللغة العربية والأمازيغية إذ تعد اللغة العربية اللغة الرسمية الأولى في الدولة الجزائرية، وذلك بعد القرار الدستوري الذي

صدر عام 2002م، والذي يقرّ بأنّ الأمازيغية اللغة الرسمية الثانية. وقد تطور الأمر إلى أن صدر قرار آخر يوجب تدريس اللغة الأمازيغية في المرسة الجزائرية عام 2016م، حيث لقى هذا القرار جدلا واسعا بين من يرى ضرورة حظر تدريس الأمازيغية ، وبين مقرّ بشرعية تدريسها، ولكلّ حجته إذ يذهب أصحاب الرأي الأول إلى أنّ تدريس الأمازيغية له انعكاسات سلبية على المكتسبات اللغوية لدى المتعلمين وذلك «أنّ تعليم اللغة العربية لأبنائنا ليس في وضع ملائم وحالته حرجة جدا بدليل أن المتخرج من الجامعة لا يحسن التكلم بالعربية، ولا يمكنه كتابة صفحة بالعربية الفصحى السليمة، ثم تغلغل هذا الإلف وصار أمرا طبيعيا لا تدرك أخطاره لينسحب تدريجيا على النظرة الاجتماعية حيث صار الطلاب يعزفون عن الالتحاق بأقسام اللغة العربية ولا يدخلونها إلا مضطرين[10]»، وفي هذا يقول ميشال زكريا: «إن من بين الصعوبات التي تتعرض التلميذ خلال عملية التعليم تزداد بالضرورة ، إذ كان يجب عليه أن يكتسب المعارف والعلوم بلغة أخرى لا يتقنها أحسن الإتقان، مما يؤدي إلى فشل مدرسي ولئن كانت اللغة الثانية تنتمي إلى ثقافة مغايرة، فإن الصعوبات تزداد من منطلق أن التلميذ لا يتعامل فقط مع لغة أجنبية، إنّما يتعامل أيضا مع مصطلحات وبنى للتعبير والتفسير جديدة تماما بالنسبة إليه [11]».إلاّ أنّ هذه الرؤية لا يعتدّ بها من قال بشرعية تدريس اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية؛ إذ إنّ تدريسها لا يلحق أي ضرر على المكتسبات المعرفية للغة العربية؛ حيث إنّ «التربية الثنائية للغة ومتعددة اللغة هي في الحقيقة تربية صحيحة متعددة الثقافة ، تتجاوز التعبير عن الأحاسيس الإيجابية، لتمنح الناس وسيلة حالية، وهي الثنائية اللغوية لخلق معرفة وتفاهم كبيرين[12]». وعموما فإن تدريس اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية ليس بالضرورة أن تكون له آثار سلبية على الاكتساب المعرفي للغة العربية. إنّ هذا الأمر يصدق إن لم تكن اللغة الأمازيغية «ظاهرة مرضية تستخدم لأغراض سياسية واقتصادية تضر باللغة الأم مثلما كانت تفعل السياسة الاستعمارية ولا تزال لكن بطرق أخرى فإن برزت بصورة طبيعية نابعة من متطلبات المجتمع المتطلع إلى المعرفة الإنسانية فهي ظاهرة صحية، وأما إن سلكت مسلكا إيديولوجيا سياسيا تحت أقنعة مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب فذلك هو المسخ الثقافي والحضاري والاستعماري في شكليه الجديد [13]».وعموما فإنّ تدريس اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية عرف ردود أفعال مختلفة، ولابد من توضيح الرؤية للرافضين تدريسها ومحاولة بناء استراتيجية ثقافية توعي المجتمع بحوار الثقافات، الذي من شأنه أن يوطّد جسور التفاهم والتلاحم بين أفراد المجتمع.

ثانيا: دراسة تطبيقية

تهدف هذه الاستبانة إلى بيان موقف المجتمع الجزائري من قرار تعميم تدريس اللغة الأمازيغية في مختلف المدارس ورصد الآراء الرافضة لهذا القرار والآراء المؤيدة له، إضافة إلى بيان السلبيات والإيجابيات التي تتحقق من تدريسها وتوضيح الأبعاد الإيديولوجية والسياسية من ذلك، وهل يتعارض تدريسها مع تدريس اللغة العربية.

1. بيانات شخصية:

- ✓ الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐
- ✓ الفئة العمرية: بين 20 و30 ☐ بين 30 و40 ☐ 40 فما فوق ☐
- ✓ المستوى العلمي :.....
- ✓ المؤسسة:.....

2. بيانات الاستبانة

✓ هل تؤيد قرار تدريس اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية ؟

نعم ☐ لا ☐

✓ لماذا؟

.....

.....

.....

✓ هل ترى أنّ لتدريس اللغة الأمازيغية أهداف؟

نعم ☐ لا ☐

✓ ماهي حسب رأيك ؟

.....

.....

.....

✓ ما أبرز الصعوبات التي تواجه تدريس اللغة الأمازيغية ؟

صعوبات مع المتعلمين ☐ صعوبات في المنهج ☐ صعوبة في المادة العلمية ☐

✓ هل تدريس اللغة الأمازيغية يؤثر سلبا على التحصيل العلمي والمعرفي للغة العربية ؟

نعم ☐ لا ☐

لقد تم توزيع 13 نسخة من الاستبيان، حيث تمت الإجابة عن أغلب الأسئلة الموجهة إلى أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم العلمية، والمتراوحة أعمارهم بين العشرين والثلاثين والأربعين. وقد تم حساب النسب المئوية لكل الإجابة، وبيانها على النحو الآتي:

– السؤال الأول كانت نسبة الإجابة عن الذين شرّعوا تدريس اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية 15.38% وأما نسبة الذين رفضوا تدريسها فكانت نسبتهم 84.62 %.

–السؤال الثاني تمثل سبب تشريع تدريس اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية بالنسبة للمؤيدين لذلك القرار في أنّ هذه اللغة تعكس هوية وثقافة وحضارة أمة فلا يمكن مسح ذلك التراث من التاريخ؛ ولأنّ اللغة تعكس فكر الإنسان وثقافته وهويته وجب تدريسها وأما بالنسبة للذين رفضوا تدريسها لأنها مجرد لهجة لا ترقى إلى درجة تدريسها.

–السؤال الثالث كانت نسبة الذين قالوا بأن لتدريس اللغة الأمازيغية أهداف 30.77% أما الذين قالوا بأنه لا توجد أهداف فكانت نسبتهم 69.23%.

–السؤال الرابع تمثلت الأهداف المسطرة من أجل تدريس اللغة الأمازيغية حسب الذين قالوا بأن هناك أهداف لتدريس اللغة الأمازيغية ؛ حيث تمثلت في:

–الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري من خلال تدريس اللغة الأمازيغية .

–غرس المقومات الشخصية الأمازيغية بين الأجيال.

–التعرف على الأصول الجزائرية.

–السؤال الخامس كانت نسبة الذين قالوا بأنّ صعوبة تدريس اللغة الأمازيغية تتمثل في المتعلمين 69.23% وأما بالنسبة للذين قالوا بأنها تتمثل في المنهج فكانت نسبتهم:23.07% وهناك من جمع بين المنهج والمادة العلمية حيث كانت نسبتهم 7.70% .

–السؤال السادس كانت نسبة الذين قالوا بأن تدريس اللغة الأمازيغية يؤثر على التحصيل العلمي والمعرفي للغة العربية 61.54 %وأما بالنسبة للذين قالوا بأنّها لا تؤثر فكانت نسبتهم 38.46%

وعموما يمكن القول بأنّ الجدل الحاصل بين أفراد المجتمع حول مشروعية تدريس اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية، وبين ضرورة حظر تدريسها، قد خلق ردود أفعال متباينة، إذ إنّ لكل أسبابه فالنسبة للذين رفضوا تدريسها يرون أنها لا ترتقي إلى المستوى المطلوب، كما أنّ حدودها ومجالات استعمالها ضيقة. أما بالنسبة للذين يرون مشروعية تدريسها فعلى أساس أنها تحقق الوحدة بين أفراد المجتمع، كما أنّ اللغة الأمازيغية لغة تعكس ثقافة وحضارة المازيغ، إضافة إلى أن تدريسها لا يلحق الضرر باللغة العربية فهي ليست منافسة لها؛ فشأنها شأن باقي اللغات التي تدرس في المدارس الجزائرية على نحو: الفرنسية والإنجليزية والاسبانية ....

الهوامش:

[1] محمد الأوراغي، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب واللغات بالرباط، ط1، 2002م، ص11.

[2]صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار الهومة، الجزائر، دط، 2010م، ص224.

[3] المجلس الأعلى للغة العربية، التعدد اللساني واللغة الجامعة، الجزائر،2014م، ص422.

[4] لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، مراجعة سلام بزي حمزة، مركز دراسات الوحدة اللغوية، بيروت، ط1، 2008م، ص78.

[5] لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص79.

[6]لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص80،79.

[7] محمد علي خولي، الحياة مع لغتين، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1 ،1988م، ص17-18.

[8]لويس جان كالفي، علم الاجتماع، ترجمة يحياتن، دار القصبة للنشر،2006، ص27.

[9] – صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار الهومة، الجزائر، ط3، 2000م، ص124.

[10] –عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط)،1995، ص88.

[11]– ميشال زكريا، قضايا ألسنية وتطبيقية، ص24.

[12]أوليفيا غارسيا، التربية الثنائية للغة، دليل السوسيو لسانيات، تحرير، فلوريال كولماس، دط، دت، ص 877.

[13]المجلس الأعلى للغة العربية، التعدد اللساني واللغة الجامعة، ص422.